

## نصوص

- غسان زقطان
- محمد حسيب القاضي
- رباح نوري
- محمد الديراوي

قلائد يابسة

غسان زقطان\*

صيحةٌ فوق الحرش

في العتمةِ متسعٌ  
ليدِ سوداءِ  
بخمسِ أصابعِ  
وذراعِ.

في العتمةِ بيتٌ  
منهمكُ بمشاغلِ موتاهِ  
المنهمكينِ  
بنقلِ نواياهمِ  
في القوسِ.

في العتمةِ أصواتٌ هلكتُ

وصراخٌ ظلَّ على الأحجار  
 وأسيجة القَرَاصِ..  
 وماء الحوشِ  
 ومثل لحاء خشنٍ تبدو الصيحةُ  
 فوق الحرشِ.

### الأخدود

عجيبَةٌ أيامُ الملحِ  
 كأنها لسوانا  
 ومثل مأساة محكمةٍ  
 اكتملت للتوّ  
 يبدؤون بالتنفسِ، إذ نتذكروها  
 التلالُ المنسيةُ في سأمِ المنحدراتِ  
 الجبال التي تشهقُ إلى الغربِ  
 عربات القتلى الطوافةِ  
 وإيمانُ المَيِّتِ كاملاً.

الأيدي التي تظهر من العتمة لتخبرك بكلِّ شيءٍ  
 الأخوة العميقة التي لا تؤدي إلى حكمة  
 الكلام الذي لم يعد مناسباً للأمكنة العالية..

عجيبَةٌ أيامُ الملحِ  
 مذمومةٌ مثل زرعِ فاسدٍ  
 ووحيدةٌ في الهوَّةِ الآنِ.  
 وفيما نحنُ نصعدُ، لأنَّ الأمرَ كذلكِ،  
 تتدحرجُ، مهجورةً، خلفنا، إلى غير رجعةٍ

بَشْرَانَا الْغَامِقَةُ  
 وَتَجَارِبُ النُّومِ  
 .. أَسْمَاءُ وَالْقَابُ طَوِيلَةٌ إِلَى الْأَبَدِ  
 لَهْجَاتٌ، أَيْضاً، تَشِي بِرَيْفٍ لَمْ يَعْذُ ضُرُورِيّاً..

عَجِيبَةٌ أَيَّامُ الْمَلْحِ  
 حَتَّىٰ إِنْهَا لَا تَصْلِحُ لِلتَّذْكَرِ!

قَلَائِدُ يَابِسَةٌ

العربية  
 .. تَتَدَحْرَجُ مِنْذَ الْجَدِّ الْهَارِبِ  
 فِي مَنَحِرَاتٍ لَا مَصَبَاتٍ لَهَا

العائلة  
 .. تَطْرُقُ رُؤُوسَنَا بِحِجَارَةِ الرِّوَايَةِ  
 وَسَبْعَةَ نِدَائَاتٍ مَيْتَةٍ

جدولُ الدِّمِ  
 يَتَبَدَّدُ فِي الْهَوَّةِ مَخْتَلِطاً بِالْغُبَارِ  
 وَالْحَصَى وَرَيْشِ الطَّيُورِ وَأَعْبْرَةِ الطَّلَعِ.

السلالة  
 مَبْنِيَّةٌ عَلَى سَبْعَةِ ضَبَاعٍ عَادِلَةٍ.

حمولاتٌ

وصلت الآن  
وستصل، أيضاً، الآن

الأشباح  
في الداخلِ موصوفةٌ بأمانةٍ.

الوصايا  
تتدلَّى مثل قلائدٍ يابسةٍ

العربة  
والعائلةُ  
وجداولُ الدمِ.

السلالةُ  
والأشباحُ  
والقلائدُ  
تتحطَّم دونَ ألمٍ.

عربات في العتمة

لن يُبصرَ طرَاقُ الليلِ يداً  
ستؤشِّرُ نحوَ جنوبٍ منخفضٍ في الظلِ  
طريقٌ من أكفانٍ بيضٍ  
وحصائرٍ زرقاءٍ..  
أيقظُ أبناءك يا أبتني  
واتركُ كتفك المائلتينِ على الشباكِ

.. لمشيكَ في جنبات الصيفِ

حفيفٌ من أَسفِ غَلَابِ.

أَيَقْظُ أَبْنَاءَكَ

سَوْفَ يَمِيلُ الحِلْمُ بِهِمْ

وَسَيُنْقَرُ دَفٌّ

فِي العَاشِرَةِ تَمَاماً

فِي المُنحَدِرِ

وَيَصْعَدُ من أَقْصَاةِ المَعْتَمِ

رَفٌّ ذُنَابِ.

أرْبَعُ أَخَوَاتٍ من «زَكَرِيَّا» (1)

أرْبَعُ أَخَوَاتٍ يَتَسَلَّقْنَ الجِبَلَ

وَحِيدَاتٍ

بَنِيَابِ سَوْدِ.

أرْبَعُ أَخَوَاتٍ يَتَنَهَّدْنَ أَمَامَ الحَرَشِ.

أرْبَعُ أَخَوَاتٍ فِي العَتَمَةِ

يَقْرَأْنَ بَرِيداً مَبْتَلًا.

.. كَانَ قَطَارٌ يَعْبُرُ خَلْفَ الصُّورَةِ

من «عَرْتُوفِ» (2)

.. كَانَ حِصَانٌ يَحْمِلُ بِنْتاً من «زَكَرِيَّا»

يَصْهَلُ فِي المُنحَدِرِ وَرَاءَ السَّهْلِ.

.. كان الغيمُ يمرُّ بطيئاً  
في الأُخدودِ.

أربعُ أخواتٍ من «زكريا»  
عند التلِّ  
وحيدات  
.. بثيابٍ سودٍ.

## ذئاب

هجرةُ الطيرِ عن قلبه  
تتركُ السهلَ أبيضُ.  
حينَ الحكايةِ بيضاءُ  
والنومُ أبيضُ  
والصمتُ أيقونةٌ للمنادى.

ضحكةٌ من ترابٍ، ستنشأ، إذ يُفتحُ البابُ من جهةِ الخوفِ  
ترنيمَةٌ للشقاءِ الكبيرِ  
وأصواتٌ من غادروا منذُ وقتٍ طويلٍ ستقفزُ مثلَ الجنادبِ  
إذ يُفتحُ البابُ.

أنتظرُ لحظةً كي نجفَ.  
وأنتظرُ لحظةً  
إن في أثرنا أسفاً طائشاً  
طائراً من خرفاً.

انْتَبِهْ لِلْقَلَائِدِ فِي السَّقْفِ..

لو تشعلُ الضوءَ  
أو تكتفي بالجلوسِ

انتبه.. للثمارِ على الأرض..

صوتك في غرفتي يُهلكُ الصمتَ  
صمتَ الأواني  
وصمتَ الرفوفِ  
وصمتَ الكتابةِ  
صمتَ الإضاءةِ  
صمتَ البقاءِ..

الذي كنتُ أجمعه من سنينَ  
، على مهلٍ من يختلي في زهابِ الحديقةِ بالصيفِ،  
أو يستردُّ الغيابَ،  
الغيابَ  
الغيابَ الذي لا يقفُ!

تخطيط أولي

الكلام الذي ظلَّ في البيتِ، لما خرجنا،  
وحيداً  
ومنفعلاً  
.. مثلَ ذئبٍ عنيذٍ.

الكلام الذي ظلّ فوق الفراشِ  
وبين المقاعدِ  
في تمتعاتِ الممرِّ  
على لوحة الزيت..  
والنرد.

كلما عدتُ من مكتبي  
، حيث أخسرُ يوماً جديداً وغدً،  
كنت أبصرُهُ وهو يبحثُ مثلَ المجانينِ  
عن ثغرةٍ في السكوتِ.

كنتُ أرقبهُ وهو يقتلُ أولاده دونَ قصدٍ.

## بَيْت

ها هو البيتُ  
واجهتُ من زجاجِ  
وبوابةٍ من قصبٍ.

عتمةٌ في الممرِّ  
وليمونةٌ أزهرتُ منذُ يومين.

لورُ على الجانبينِ  
و«نارجيلة» دونَ ماءٍ  
ستبصرُنَا حالما نفتحُ البابَ نحنُ الثلاثةُ  
ظلُّ الحديقةِ يمشي

ورائي  
ورائحة الياسمين.

سأجلسُ حيثُ تعودتُ  
ظلُّ الحديقةِ فوقَ البساطِ  
ورائحةِ الياسمينِ على الثوبِ.

ثوبٌ من الصيفِ  
من أولِ الصيفِ  
ثوبُ الفتاةِ التي لم أُحبِّ.

بيروت - آب 1982

ليته لم يمته  
، الذي مات في غارةِ الأربعاءِ،

كان يعرجُ في «نزلةِ البير»  
أشقرَ  
، مثل الذين يجيئون من أنهرٍ في شمالِ العراقِ،

على مهلهما... مثل أمِّ «مخبلة»  
كانت الحربُ تغزلُ في ذلك الصيفِ مغزَلَهَا.

ثمّةُ أغنيةٍ في الإذاعةِ تبدأ: «يا بير...»  
أغنيةٌ تملأُ البيتَ  
بيتَ أبي في «الكرامة»

أو، ربما قبّله، «بيت جالا»  
التي كلما زرتها لا أجد بيتنا!

ما الذي لم تقله الأغاني لنا!

شارع ضيق  
مهمل  
.. في الضواحي الفقيرة للحرب،

إلا من والصيف والطائرات

فيما الفتى من شمال العراق  
، الذي كان يحسبني مغربياً من الريف،

يعرج في موته..

أشقرأ..

لم يبهتة لونُ الفنارِ

ولا الذكريات.

الكرامة 1965

الهديرُ الذي كان يصعدُ منذُ الطفولةِ

من جهةِ النهرِ

، حيثُ التلالُ ستهبطُ للماءِ لما ننامُ،

وحيثُ الحقولُ ستنهضُ في الليلِ بعدَ العشاءِ

وتصعدُ للديرِ...،

الهديرُ الذي كنتُ أسمعُهُ، غامضاً،  
وهو يصعدُ نحوَ «الكرامة» و«السلط»  
، حيث الكلابُ التي نبحتُ دون جدوى...،

الهديرُ الذي كان يذرعُ تلكَ النواحي  
ويزحفُ تحتَ المصاطبِ والدورِ والقشِّ..

يتبعُنِي من جديدُ

نحنُ في تونسَ الآن  
والخيلُ تعدو إلى حجرِ الأربعينِ  
ومن أولِ العمرِ...، أقصَى التذكُّرِ  
تنبُحُ تلكَ الكلابُ العنيدةُ في الحوشِ.

أحمد العوضي

عمي الذي قال لي:

جئتُ من بركةِ الخضرِ  
أمي التي ولدتني.. رأَتْ.

كان يسبقُنَا بينَ تلكِ الخرائبِ  
يهرسُ أعناقَ أزهارها بانتباهٍ  
ويرقصُ بينَ الممراتِ  
يخرجُ أنفاقها عتمةً.. عتمةً

أو يصيح بأدراجها وهي تهبطُ  
فرحانَ  
فرحانَ  
حتى اختفى..

عمّي الذي لم يطقه أبي  
أو يُحطه بعينيه  
أو يشعلُ الضوءَ حتى يرى  
كيف ترقصُ في روحه، مثل جنية،  
يا أخي.

عمّي الذي صدّه عمّة  
كالغبارِ الغريبِ عن العائلةِ  
كان يَنحَتُ أحجارَ عزلتهِ  
وهو يضحكُ من أهلهِ  
من أعاجيبهم  
من حرييرِ السلالةِ  
من صفوها  
.. ثمَّ يضحكُ من قلبهِ  
أو ينقرُّ أحلامنا كي نراه.

لم يُرد غيرَ عشرٍ وألقى لنا ما تبقى..  
وقبرينِ لم يحملًا زهرةً من يديه..

سيأتيه زهرٌ من العتمتينِ  
وماءٌ ليشربَ في الليلِ  
جنيّةً كي تغطيهِ

هفهفه كي يرى أمه، جدتي، في المنام  
 فيرضى كثيراً عن الناس والشاي والماء  
 والخبز في صحنه  
 ثم يغفر حتى ننام.

وحيداً وأبراجه حوله  
 ، أين لن يصعد السالكون،  
 وأين التقى الخوفُ  
 والملتفتُ

.. وأخبرني بينما كان يضحكُ  
 : من بركة الخضر، يا ابن أخي  
 بركة الخضر..  
 أمي التي ولدتني رأَتْ.

ذئاب، أيضاً

حينما اقتربتُ واهتدتُ..

كان صوتُ التنفس يأتي بها  
 ثم رائحة الباب.

مرّت خطيَّ  
 ثم دبّت.

.. واختفى كلُّ شيء هنا

أنتِ والآخرونَ

التيابُ البعيدةُ والجالسونَ

الزهورُ القليلةُ في الحوضِ

لونُ النبيذِ

القصيدةُ..

: يأتي العدوُّ ليشربَ من شاينا في المساءِ

ويسنُدُ غدارةً للجدار..

القصيدةُ، تلكَ القصيدةُ،

كانت لدرويشَ

هل قال غدارةً أو بندقيته؟

كانت ابنته في الظلالِ، العدوِّ،

وكان لها طعمُ نهرٍ بطيءٍ وصوتٌ من النومِ يعدو ورائحةً من ذهابٍ!

اختلفى الزائرونَ

، كراسيُّهمُ تحثهمُ تختفي في ضبابٍ خفيفٍ،

الممثل في مشهدِ الموتِ

، قبلَ النهايةِ،

أغنيةُ الجازِ

، في حانةٍ لم يعدَ اسمُها واضحاً،

ليلةُ السبتِ في قلبِ «ممفيس»..

شكلُ المعاطفِ في المدخلِ الجانبي..

وظلّت تنادي عليّ الذئاب.

إتبع الرائحة

إتبع الرائحة يا ضبع

إتبع الرائحة

إتبّعها وحيداً، مرقطاً، هائماً ...

كأنك لا تدري

واضحك في وديان وعرة

يشحبُ صخرها ويسودُّ

... إتبعها يا ضبع

إتبع قتالِك حتى نوافذهم المنخفضة

واعبُرُ بسراجِك نومهم

وبذلِ برائحِك أجسادهم

... إُدفعهم إلى الليل بلطف حيلتك

دائخين، يتعثرون في أحلامهم

إتبع الرائحة يا ضبع

يا أبانا ...

الضحك في الوديان.

موسس المخيم

نوايا العابرين إلى منزلها

يمكن أن تلمس بالأصابع

عفيفة ومتباهية.

المتأخرون في الحقول

سيجدونها عالقة على الشجر القصير

والدرجات الخمس المعشبة

ونبات المجنونة على المدخل.

أساورها التي تُخشخش مثل فرس غامض في نومهم.

ثيابها الداخلية التي تلوّن أحلامهم

ونهداها المطروقان مثل درب طاحون.

حركتها المرسومة بين المغسلة والسريير

مثل محفوظة شعبية رائجة.

لوحة الفاكهة على الحائط.

الشراشف والمخدتان.

ورائحة الكولونيا الرخيصة.

المسامير خلف الباب

، حيث تركت ملابسهم رائحتها،

والياسمين خلف النافذة.

انحناءاتها الذاهلة

وصمتها المرجوم بالمشقة.

نوايا العابرين إلى منزلها في أربعة عقود

المازّة والطراق،

الطلبة والموظفون والدجاج،

العرباتُ والحرسُ والكلابُ،  
 الحمّالونَ والقططُ وبائعو الخضار  
 كلُّ من لهُ رائحةٌ خلفَ نومها المشقق  
 كانوا هناك،  
 خلفَ الأولاد  
 والعربة  
 والنعش

طاهرينَ في طريقهم إلى القصد.

مثل رجل يتذكر

الرضى عثره الموتى وتخاذلهم  
 ، هكذا قال،

وقال:

مثلَ بحيرةٍ هادئةٍ  
 تهبطُ روعي على الأرضِ  
 كلامي في العشبِ  
 وصراخي في الشجرِ  
 وترددي في الظلِّ..

وما لم أقلُّه

يتراكم كالعتمة في الآبار ..

أمّا وقد وصلت إلى هنا

فلن ترى أبعدَ من ذلك ..

وأضاف:

أما أنا

فأمشي على هذي مولاي.

وقال في مكان آخر:

مثل جنازة مقتضية

تتعثرُ الرؤيةُ

وينقضي اليوم

ويبدو الموتُ حادثاً متطرفاً

سببته العجلةُ

وأيضاً:

مثل حقل مرتبك

أضع مطالعاً في التذكر.

وأنصتُ لخبطِ أجنحتها.

---

\* شاعر فلسطيني يقيم في رام الله.

(1) قرية فلسطينية من قرى الخليل هُجِّر أهلها عام 1948.

(2) قرية فلسطينية من قرى الخليل هُجِّر أهلها عام 1948.

## إشراقات

محمد حسيب القاضي\*

-I-

حسناً،

ها كل شيء مهياً تماماً لما سيكون

فقط،

عليك أن تمسك في يدك المفتاح، وتدرك بالغريزة

زرقة الباب الأخير،

بالغريزة، أيضاً، تضع في الثقب المفتاح الوحيد، وتديره هكذا

.. طقة.. طقتان

ثم ينفتح الباب بزرقة أخشابه الثقيلة

وصرير وحشته،

.. خطوة، خطوتان

وتجد نفسك في نهار من حليب، وليلك،

كوّر هذا الفضاء على حجرٍ من ذهب،

ويكون على اليقين أن يصغي عميقاً إلى صفير  
النيزك الذهبي، قبل أن يرتطم بالظل الجاثم فوق  
هشيم الظلّ

\* \* \*

ثمة الباب المفتوح دائماً على كثافة الآدمي الذي هو أنت..  
حينما تسفح الأبد على العتبة،  
الأبد غير المنقوص عشبةً واحدة  
وتشغل فراغ اللحظة،  
بكتفيك الأوسع من المكان ذاته  
ويكون لك أن تكون..

-II-

متأهباً للذهاب،  
يقف على الباب ذاته،  
على العتبة نفسها التي غادرها من قبل أنبياء وقديسون  
حملوا في أيديهم كتباً وأسفاراً، وارتقوا سلالم الله  
الولد الذي نضج كثمرة قبل الأوان  
متأهباً قبل المغادرة،  
ينأمل وجهه في المرآة للحظة  
هادئاً  
ونفاذاً،  
بالابتسامة الأشبه بسيف قوس قزح على كتف شتاء  
بالنظرة الأعمق من مياه طبريا  
قال كل شيء، لم يقل أي شيء  
فقط أسرج شمعةً

ليحذف بها الشتاء خلف كتفه كمزحة!  
وأخف من حجر،  
انسل بجسمه الناحل كطائر، ليقذف الأبد بالأبد،

\* \* \*

لم يتلفت  
لم يقل شيئاً  
قال كل شيء  
تاركاً الكثافة غير المرئية للطائر الأسرع من ظله

\* \* \*

يا الولد المحمول على حجرٍ من ألق وخليلاته  
لماذا ذهبت سريعاً  
دون تلويحةٍ من يديك  
دونما نظرةٍ  
دونما كلمةٍ

لو أنك سرّحت أمام المرأةٍ صغيرةٍ شعرك  
ولبست الكنزة تحت السترة  
(إن البرد شديدٌ في الساحة..)  
وتناولت ولو شيئاً.. بعض الزعتر والخبز  
إلا أنك لم تفعل  
وشربت الشاي على عجل  
كي لا تتأخر عن موعدك مع الربة وارفة الأهداب  
(عناية)

\* \* \*

أنت ها أنت، لم تنتظرنى قليلاً  
 لأزخرف قبرة لك تستدرج الصيف سهواً  
 من غصون وماء الآلهة  
 لا شك أنك قد كنت تسمع وحدك  
 ذاك الحفيف الذي يرفع  
 الفجر من فروته  
 ولا شك إن، أيضاً، رأيت الذي لم أراه  
 ولهذا ذهبت، ولم تنتظرنى  
 الإثم عليّ أنا  
 ليس على العطر الفواح  
 من النهدين الممتلئين نبيذاً وهجيراً  
 هل تغفر لي يا هذا الولد الكنعانيّ  
 إنّ أنا غافلتك في بعض الأحيان  
 وأمعنت النظر إلى عيني معشوقتك (عناة)  
 هل تغفر لي!؟

-III-

لم يقل أحدٌ إنه قد رأهم  
 ينقلون إلى شجرة  
 ظلهم عارياً  
 لكيما يرقوا بأوراقهم وحساسينهم  
 لم يقل أحدٌ إنه أرفه السمح  
 حتى يراهم كما ينبغي  
 بكتافة ما في الظلال التي خلفهم  
 يصلون إلى الحجرات،

أصدقائي الذين بكامل زينتهم

واحداً

واحداً

دخلوا،

- (سوف أعدّ القهوة وأزيد الهيل)

- (ثمّة في الوردّة ما يغري أن نرمي)

بأصابعنا السكين..

أليس كذلك؟

- من فضلك أشعل لي الآن لفافة تبغ

للقهوة رائحة امرأة

حين البن يفور، يفوح

أنت تحب المرأة أيضاً حين

تفوح

وتحركها كالبنّ على مهل حتى تنسكب

أخيراً منك على التخت

الخشبيّ..

- انظر،

- يجدلُ لحيته بغصون التوت أمام المرأة

أتدري لم جدّك يفعل هذا؟

حسنٌ

الليلة سوف يخفّ كما الهدهد

مزهواً

وسعيداً

لملاقة (عناة)

\* \* \*

أصدقائي الجميلين  
 بردت في الفناجين قهوتنا  
 ولما نزل في السرير (عناة)  
 تفوح،  
 تفور كما البن  
 تعلق مرآتها المستديرة في حجرة النوم  
 وعلى الطاولة،  
 زجاجة عطر، ومشط  
 في انتظار الذي يقرع الباب!

-IV-

لشتاء آخر  
 مثقوباً كمظلة  
 مقلوباً كسلحفاة  
 يتبدى لك،  
 حيث تظن الساعات طويلاً  
 في الممرات،  
 حيث الذي تحت جفك أثقل من ليلة  
 ربما الآن حسب - ألاحظ ذلك  
 كيف لم أنتبه جيداً  
 إلى أنني سوف ألقاك تحت المطر  
 وأنت تدس يديك من البرد  
 في جيب معطفك الجلد،  
 من ثرى كنت يا صاحبي تنتظر  
 أي مريم منهم  
 قل لي ولا تخف عني شيئاً

أنتك التي خطفت كتفيك من البرق

ثم قالت لك:

(الآن كن طائراً

أو شجيرة توت)

أم ترى هي تلك التي كنت تأخذها

تحت سترتك الصوف

مثلما غيمة متعبة،

قبل أن يهطل الأنسولين

أم.. أم.. الخ

(الموتى لا يحتاجون دموعك

حتى لو كانوا شهداء)

- لا..

إنه مرفأ للسهاد الذي تحت جفني

إبرة،

بعد، لم تدرك الفجر خيلاً

كل هذا، وذاك

وأنت على النوء كنت تساور شمعة،

نبعة لا

وتفتح قوس الجسد

لصاعقة الفل..!

القاهرة 29/11/2000

---

\* شاعر فلسطيني يقيم في غزة.

قريباً في الأسواق

رباح نوري\*

لكل ما تقدم

لمغيب

يويخ خصلاته المشاكسة للهواء

لحقلين

يغالبُ النعاسُ جفنيهما

كلَّ حلم

لزهرتين

لقنتُ - حديثاً -

جهلها درساً

لنلتين

أُسَدَلُ عليهما قميصٌ

بعيداً عن أنظار أصابعي

لمنحدرٍ

يقود الرمح إلى اللهب  
 لرابيتين  
 تأسران اللففة  
 لكل ما تقدم  
 قلت الكثير  
 بأصابعٍ بليغة.

بناء على افتراض

في الطريق إلى المقهى  
 استلقتُ مبلغاً ضخماً  
 مفترضاً:  
 أنني أملك قافلة  
 اشتريتُ لها صحراء  
 عثرتُ فيها على:  
 - أدلاء مزاجيين  
 طرقتهم هواء.  
 - وتائهيّن  
 ملّتُ منهم النجوم  
 - وامرأة  
 اشتهرتُ باللوعة  
 فنسيتُ ظلّها فوق الرمال  
 - وغيمة  
 أحيطها بالعزلة  
 لكي انفرد بها

- ولصوص  
 عاطلين عن الخيبة  
 حتى إنهم  
 وقيل أن أسأل:  
 سرقوا مني السؤال  
 عندها  
 بَغتُ الصحراء  
 لأقربِ سراب

\* \*

في المقهى  
 قابلتُ شخصين  
 أحدهما:  
 طالبني بمبلغ ضخم  
 والثاني:  
 أخبرني أن قافلة غريبة  
 سألتُ عني قبل قليل.

عن هذا

هكذا  
 ودون أن أذكركَ  
 سأكتب:  
 عن الآس  
 لأن دموعك لم تغد ملونة.  
 عن الوردة

وهي تذرف انتسابها للأنامل.  
 عن الليل  
 حين يوبخ النجوم  
 والمشاهير.  
 عن الأسئلة  
 وهي تشجب الحيرة  
 وتراقصُ علامة استفهام.  
 عن هذا كله  
 سأكتب  
 دون أن: أشير إليك.

## شهرة

كم يلزمك من الليل  
 لتصبحي: نجمة؟

## مفاجأة

من نافذة في القفص  
 هربتُ العصفور  
 وحين أغلقْتُها  
 اخنتقَ القفص

## انشغال

من شدة انتظاري  
 لم أنتبه:  
 لوصولك

## حجة

بيدِ عطرة  
سحبُك للوردة  
لكي اتهمك بالذبول

## استغفال

بعد أن أفلس  
استيقظَ أصدقاؤه  
وأعني:  
النائمينَ في رأسه

## بعيداً.. عن المرات السابقة

هذه المرة رأيتُ:  
- بحاراً  
تلوح للشواطئ بالغرقى.  
- وأحلاماً  
تجوب الليالي  
بحثاً عن نائمين.  
- وأرصفتة  
تستدر عطف المارة.  
- ومسافات  
تروض الإبتعاد.  
- وجبالاً  
تنتج الحبال  
طمعاً بالمتسلقين.  
- وامتحانات

- تزوق الأسئلة بالطالبات.  
 - وعارضات  
 يسكرون الأزياء بالمصممين.  
 - وممثلات  
 يغطين المخرجين بالأفلام.  
 - وأراجيح  
 تزود الأطفال بالأعياد.  
 - وجسوراً  
 تعد المدن بالأنهار  
 - وهواتف  
 تملأ الأسلاك بالمتحدثين  
 - وحدثق  
 تبتكر مواعيد غرامية  
 للعاشقين  
 - وبنوكاً  
 تشاكس الأموال  
 باللصوص.  
 - وعصافير  
 تهدد الأفقاص  
 بالتحليق.  
 - وفضاءات  
 تقلب الحمام  
 من أجل الهديل  
 - وإشارات مرورية:  
 تنتخبُ شوارع  
 للسيارات

- وآهات:  
 تهنئُ المتحسرات  
 بالصدور  
 - ونجوماً:  
 ترصعُ الصحارى  
 بالقائمين  
 - ونوارس: تقودُ حملةً انتخابيةً  
 لصالح اللون الأبيض  
 - وأسماكاً: تقترخُ مأخذَ  
 على الصيادين  
 - وأمطاراً: تنتهرُ الغيومَ  
 بالأشجار  
 - وأسواقاً:  
 تروجُ للبضائعِ  
 - وبورصات:  
 ترسمُ التجارَ  
 بالعملات.  
 هذه المرة:  
 رأيتُ هذا كلةً  
 دونَ أنْ أراكِ.

أمنياتى

أنوي:  
 أن أصبحَ مطراً  
 أخرج من الغيمة  
 وأهطل على العالم

لأبلى:

خصلات حبيبتى المدرسية

ودرجات امتحاناتها

ودوامها

ورسوبها

وغياباتها

وبلاتوه آخر أفلام:

جيسكا لانج

وهي تمثل دور امرأة:

تنسى - دائما - مظلتها

في البيت

وكيم باسنجر

تسعة أسابيع ونصف

وميريل ستريب

خارج أفريقيا

وداستن هوفمان

عندما يوجه رجل المطر

نحو الصيف

وجودي فوستر

وهي تكسر صمت الحملان

وأورنيلا موتي

احتفاء بزقزقة العصافير

وشارون ستون

كلما طرأت على هفوتها

غريزة أساسية

أنوي:

أن أصبح مطراً  
 أخرج من الغيمة  
 وأهطل على باريس  
 لعل قطرات مني  
 تدخل مطعم مكسيم الشهير  
 تجلس على المائدة  
 وتتناول العشاء  
 دون أن:  
 تدفع الفاتورة  
 لأن النادل -حتما-  
 سيمسحها من على المائدة  
 أنوي:  
 أن أصبح مطراً  
 أخرج من الغيمة  
 وأهطل على السياب:  
 - قبره  
 - وأصدقائه  
 - وهواياته  
 - وتمثاله  
 - وأمنيته  
 - وقصائده  
 - وشباك وريقة  
 ليهتف السمك في بويب:  
 مطر.. مطر.. مطر  
 ولكي يذاع هطولي -باهتمام-  
 في نشرة الأحوال الجوية

سأبقى في الغيمة  
حتى تصل اليابان  
لأبلل:  
آخر إشارة مرورية  
قبل أن يرفعوها  
سأهطل على العالم  
لأضطره على ترديد عبارة:  
«انتباه.. الطريق زلق أثناء الأمطار»  
والعالم كله يقصد:  
أثنائي.

خمسون دولاراً  
قبل قليل  
وبعد خمسة وثلاثين عاماً  
أوقفت أمامي:  
خمسين دولاراً صفاً واحداً  
وبدأت بمعاقتهم  
- الأول:  
حولته إلى حذاء  
- والثاني:  
إلى سلم موسيقي مكسور  
كلما دست عليه بحدائي  
صاح:  
دو.. لا.. ر  
- والخامس:  
زورته

فألقت الشرطة القبض

على مالكة

– والعاشر:

ألقيته على هيروشيما

فأعلنت أميركا عن:

«جائزة أوسكار.. لمن يلم شتاته»

– والعشرون:

علمته التدخين بالمقلوب

فاحترقت شفتا «جاكسون»

– أما الخمسون:

فقد قتلته.. بدينار عراقي.

نحن الآن

نحن الآن في أفريقيا

الشتاء منفي إلى جزيرة «سانت هيلانة»

والنجاة من اللون الأسود

لم تشمل سوى:

الأسنان والحليب

في أفريقيا

الغابات الاستوائية

ترتكب:

درجات الحرارة

والهواء هارب

من خدمة المبردات.

\* \*

نحن الآن في الهند

حيث البقر يصاب بالجنون

لكثرة مشاهدته:

للأفلام الهندية

التي لم يفهم منها شيئاً

حتى بعد انتهائها

ونهاب الممثلين

إلى بيوتهم

هنا

الكل يجيد:

الرقص والغناء

– الأطباء

– المهندسون

– الأدباء

– المزارعون

– التجار

– علماء الفضاء

– الشاي الهندي

– العاصمة نيودلهي

– جبال الهماليا نفسها

تجيد:

الرقص والغناء

في الهند

ليس غريباً

أن يكتشف الهندي

وبعد سبعة وأربعين عاماً

أن أمه هي:  
 آشباريخ  
 وأن أباه هو:  
 شامي كابور

\* \*

نحن الآن في اليابان  
 العيون - هنا - تلعب لعبة  
 جر الحبل  
 والشبابيك قد تعني:  
 - حملة مفيدة  
 - أو حبراً عن بركان  
 - أو مقطعاً من قصيدة  
 - أو إعلاناً تجارياً  
 - أو تحذيراً رسمياً من الحكومة:  
 لدولة مجاورة  
 - أو: سعر الين الياباني  
 مقابل الجنيه الإسترليني.

\* \*

نحن الآن في أمريكا  
 الجرائم تتظاهر  
 مطالبة بعطلة رسمية  
 والإيدز اسم الشهرة  
 للأمريكيات  
 رجال البيت الأبيض  
 يطاردون الزوج

بتهمة اللون الأسود  
 وبسبب الإدمان ينسون  
 فيطاردون:  
 - الثقوب السود  
 - البحر الأسود  
 - ملابس الحداد  
 - الليل  
 - الباذنجان  
 ففي أمريكا  
 وقبل اختراع التلفزيون الملون  
 كان التلفزيون  
 وبأمر الإدارة الأمريكية:  
 أبيض.. فقط.

قريباً في الأسواق  
 قريباً:  
 في الأسواق  
 ثيابك التي عَبَرْتُ  
 صحراء أصابعي  
 في ساعة رملية  
 وعينك:  
 اللتان تعلمتا  
 طبائع الحقول  
 في سبعة أيام  
 وبدون معلّم  
 ورسائلك:

التي اختطفها الثرءُ  
 وطالبوا السماءَ  
 بفدية  
 لأن كلماتها  
 من نجوم  
 وخبرُ زفافك:  
 إلى الغربيةِ  
 بينما العصمةُ  
 تطلبُ اللجوءَ إلى قلبي

\* \*

قريباً:  
 وفي الأسواق  
 أيضاً  
 سيروُجُ  
 باعةُ الأكاذيب:  
 لحفل اختتامِ علاقتنا  
 وبيعةُ الأبدية:  
 للحظة تعارفنا  
 وستمنحُ سعةُ «كان» الذهبية:  
 لمشهد لقائنا  
 ولأنَّ عينيكِ ليلتان  
 سيعتمدُ صنّاعُ النجوم  
 على دموعكِ  
 عندها - فقط -  
 سنلقى قصائدي عنكِ

على مشارف العالم.

تمثيل

في المشهد  
امرأة تُعرق  
بعد المشهد  
تُخرج من البحر امرأة  
تحمل أسماء الغرقى.

ألوان

أراك  
حتى في الظلام  
لأنك: سوداء.

إدراك

حين وصلت  
عرفت: كم انتظرتك  
و حين ذهبت  
أدركت:  
أنك تعلمت المشي.

العالم أوسم

هكذا:

يبدو العالم أوسم  
وأنا أعد الحليب  
بالرُضّع  
وأصحح الشوارع

باللَّعبِ  
 وأرَمَمَ المِهْرَجَانَاتِ  
 بِأفْلامِ الكَارْتُونِ  
 وَأَقْصَفُ أَسْمَاكَ الْقَرِشِ  
 بِالْدَلَاْفِينِ  
 وَاتَّهَمُ «الْيُونِسِيْفِ»  
 بِنَقْصِ الْيُودِ  
 وَمَنْظِمَةِ الْأُمَمِ الْمُتَحِدَةِ  
 بِشَلْلِ الْأَطْفَالِ  
 وَانْتِخَبُ «الْإِيدِنِ»  
 رَئِيساً  
 لِلْوَلَايَاتِ  
 الْمُتَحِدَةِ  
 الْأَمْرِيكِيَّةِ

\* \*

هكذا:

يبدو -لي-

العالمَ أوسَمَ

و«أوسَمَ».. طفلاً

يرفض:

أن يذهب أبوه

بعيداً

أو أن تذهب أُمُّه

إلى المطبخ

يريد:

أن يجلسَ سكانُ العالمِ

أمامة

ليحكوا له عن:

الأرنب

والبطة

يريد منهم:

أن يكتبوا

على الكرة الأرضية

عبارة:

«يُمنع دخول الكبار».

---

\* شاعر عراقي يقيم في بغداد.

سلاام خلفية

محمد الدير اوي\*

- هل تريد كوباً من الشاي؟  
 أغني، وسقطت جنيهاته  
 أشار إلى عمال يغادرون المحطة  
 تاركين قمصانهم على حواف الشبابيك  
 لم يقل أحداً وداعاً..  
 للخباز

\* \* \*

هذا الصوت الجميل،  
 إنها الحوائط  
 تنذوق التعب في زنود عمالٍ  
 يتكئون عليها  
 آه.. رفيقتي الباردة

هل أُغَيِّر مكان جيتاري؟

مقعداً فارغاً،

وامرأةً تراقب السور

إنني أضع كفي على كتف صديق

علّه يجد الحزن الذي

تحت لساني

هذه نافذتي

مرحباً، جاء الصباح

دخان السجائر

يخرج من طرف سريري

\* \* \*

آه.. صرخ الرجل

آه.. صرخت المرأة

عندما رأيا كتفي من الورا

وأنا أرحل

\* \* \*

هادئاً.. أفكر فيك

تاركاً للريح أمر بهجتي

أغمض عيني

أرفع ذراعي

الحائط أعلى قليلاً..

من يدري

\* \* \*

أنا مرةً أخرى

بجانب الحقل

أتأمل الأيام تهرب في عين الحصان

أنا.. أيضاً  
 أظل واقفاً في لحظة  
 رغم مرور جميع القطارات  
 لم أركض.. لم أنظر إلى ساعة اليد  
 سوف أنتظر رحيل الجميع  
 لأجمع الجنيهاً الساقطة

\* \* \*

ليس الجيتار  
 ولا النساء اللواتي يركضن  
 ويصطدمن بالحائط  
 ليست أسرار السالم  
 إنها الفوضى..  
 تخرج من يدي الوحيدة.

2000/12/20

---

\* شاعر فلسطيني يقيم في فرنسا.